نـحن والزمن

المهندس عدنان الرفاعي

.. الزمن كمفهوم علمي فلسفي هو إحساس أنفسنا بتغير الأحـ ـداث وتتابعها ،إحساساً يتعلق بسرعة انسياب هذه الأحداث من جهة ،وبالماهيّة الماديّة لأجسادنا التي تحوي أنفسنا من جهة أخرى ...

ووفق مبادئ الفيزياء الحديثة ،لو وضعنا إنساناً في مركبة فضائية تسـ ـير بسـ ـرعة هائلة قريبة نسبياً من سرعة الضوء ، ولتكن – مثلاً– (٢٤٠٠٠٠) كيلـ ـو متـ ـر في الثانية ، فإنَّ ذرّات جسد هذا الإنسـ ـان وذرات مركبتـ ـه سـ ـتتباطأ سـ ـرعة دوران الكتروناتها حول النواة قياساً مع العالم خارج المركبة وبالتالي فإن إحساس هذا الإنسان بالزمن سيتباطأ ، بالنسبة للعالم خارج المركبة ، فتسجيل (١٠) دقائق علـ ـى سـ ـاعاتنا (خارج المركبة) يُسجَل على ساعة الإنسان داخل المركبة (٦) دقائق ..

ولو دُفعت هذه المركبة بسعة الضوء (٣٠٠٠٠٠) كيلو متر في الثانية ، لتوقف إحساس هذا الإنسان بالزمن نهائياً ، لأن الحركة الداخلية لمكونـ ـات ذرات جسـ ـده وذرات مركبته ستتوقف نهائياً، وستصبح مليارات السنين في عالمنا ، لا تقابِـ ـل ثانيـ ـة واحدة في عالم مركبته..هذا هو باختصارٍ شديد المفهوم العلمي الفلسفي للزمن وفـ ـق الفيزياء الحديثة .....

وقياساً على ذلك ، فإنّ مفهوم العمق العلمي والصناعي والحضاري للشعوب هو درجة إدراك هذه الشعوب للتحولات العلمية الصناعية الحضارية ، ودرجة متابعتها واكتشافها والتأثير بها والإحاطة بحدودها .....

و بالتالي فكلُ تباطؤٍ في مواكبة هذا العمق العلمي الصناعي الحضاري ، يماثل تماماً تباطؤ ساعة إنسان المركبة الذي تحدثنا عنه ،ويماثل تماماً تباطؤ إحساسه بالزمن نسبة إلى زمن العالم خارج مركبته ...

وفق المفهوم العميق العلمي الصناعي الحضاري هذا .. لنعرض أنفسنا – كأمة – على ميزان قطار هذا المفهوم الذي سافرت به الكثير من الأمم و عبرت من خلاله القرن الجديد .....

إذا كنا موضوعيين فلا بد أن نعترف أننا كنا – في القرن الماضي – خارج هذا القطار ، و أنّ زمن العمق العلمي الصناعي الحضاري كان – قياساً مع الأمم الأخرى – شبه متوقف بالنسبة لنا ، ومثلنا في ذلك كمثل إنسان المركبة المدفوعة بسرعة هائلة – طبعاً إلى الخلف – في الفضاء ، نسبةً للعالم الخارجي (عالم العلم والصناعة والحضارة) .....

لو نظرنا إلى الاكتشافات العلمية والتكنولوجية في مختلف الصعد في القرن الماضي ، وكم هو حجم مساهمتنا كأمة – قياساً مع بعض الأمم الأخرى – في اكتشافها وتنفيذها .. ولو نظرنا إلى الإنجازات الصناعية ، وكم هو حجم مساهمتنا كأمة – قياساً مع بعض الأمم الأخرى – في تطورها لرأينا أن نسبة مساهمتنا في ذلك ضئيلة جداً تكاد تقترب كثيراً من العدم ، وإن مركبة زمن عمقنا العلمي الصناعي الحضاري مدفوعة – إلى الخلف – بسرعة هائلة جداً تكاد تقترب كثيراً من سرعة الضوء ، فإحساسنا بزمن هذا العمق بطيء جداً إذا ما قورن مع إحساس بعض الأمم الأخرى ..

وفوق كل ذلك ، كم هو حجم الإرادة التي تملكها أنفسنا لتغيير حالنا علمياً وصناعياً وحضارياً ،ولتكون نسبة اهتمامنا و إنفاقنا – كأمة وكأفراد – على البحوث

العلمية وعلى القراءة والطباعة ذات قيمة إذا ما قورنت بنسبة اهتمامنا وإنفاقنا عل ى الأطعمة والأشربة والملبوسات ؟ .....

هذا السؤال تجيب عليه العقود القادمة من الزمن ... فإما أن تزداد سرعة مركبتنا للخلف لدرجةٍ تصل فيها إلى سرعة الضوء وبالتالي خروجنا خروجاً نهائي اً م ن دارة الزمن العلمي الصناعي الحضاري .. وإما أن نستطيع فرملتها ودخول زم ن العم ق العلمي الصناعي الحضاري للأمم المتقدمة ،لنثبت أننا أمة حية قادت الع الم – فك راً وأخلاقاً ومبادئ– في يومٍ من الأيام .....

والله تعالى وليّ التوفيق

المهندس عدنان الرفاعي